

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"*

عبد الوهاب إبراهيم عبد الجواد

كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، مصر

abdelwahabibrahim@azhar.edu.eg

المخلص: العناية الإلهية عند سينيكا، لقد أشار سينيكا إلى العناية الإلهية بشكل سريع في أعمال سابقة مثل عمل "المسائل الطبيعية"، و"فيدرا". يعالج عمل سينيكا "عن العناية الإلهية De Providentia" بالأساس قضية العدالة الإلهية في تساؤل لماذا تحدث شرور كثيرة للرجال الصالحين مع أن الكون يُدار بالعناية الإلهية؟ وقد آمن سينيكا بالآلهة وبعنايتها وقام بدور المدافع عنهم. وقد أوضح سينيكا المعنى الرواقي للعناية الإلهية وعَرَفَهَا بأنها القدر ووصفها بأنها الضرورة الحتمية لكل الأشياء والأفعال، وليس هناك أي قوة يمكنها أن تصمد أمام تلك الضرورة أو أن تقهرها، وأن هذا العالم لا يمكن أن يكون خاليًا من حام له.

الكلمات الدالة: سينيكا، العناية الإلهية، المعاناة، العدالة الإلهية، الإله.

Nature of Providence with Seneca through his dialogue "De Providentia"

Abdelwahab Ibrahim Abdelgawad

Faculty of Languages and Translation, Al-Azhar University, Egypt

abdelwahabibrahim@azhar.edu.eg

Abstract: Providence with Seneca. Seneca has referred to Providence in earlier works such as "Naturales Quaestiones", and "Phaedra". Seneca's De Providentia (on Providence) basically handles the issue of Divine justice through the question: why do many evils happen to good men while the universe is run by Divine Providence? Seneca believed in gods and their Providence and therefore he defended them. Seneca has explained the stoic meaning of Providence defining it as "destiny" and described it the necessity for all things and actions, and that there is no power that can withstand against this necessary or defeat it, and that the world cannot go without a protector.

Key words: Seneca, Providence, Ordeal, Divine justice, God.

* هذا البحث جزء من رسالة ماجستير مقدمة لقسم الحضارة الأوروبية القديمة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، بعنوان "أصداء العناية الإلهية De Providentia" لسينيكا في أعمال مانزونى"، تحت إشراف أ. د. فايز يوسف محمد، أ. م. د. أنور بهنسي محمد، د. أحمد حمدي المتولي.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

الاعتقاد في الآلهة والإيمان بوجودها وبقدرتها على التدخل أو إدارة شؤون البشر، أمر يستحق البحث، فكيف نشأت وتطورت هذه المعتقدات التي رفضها البعض، وآمن بها البعض الآخر؟ وكذلك كيف كان المرء يتغلب على تلك المحن التي قد تصيب الصالحين وليس السيئين، هذه الأمور وغيرها سوف نناقشها في هذه الورقة البحثية.

وحيث إن الدين يلعب دورًا مهمًا في حياة الأفراد، ودائمًا ما يكون الإنسان بحاجة إلى قوة عليا يلجأ إليها، تهديه وتقود خطاه، فإن مصادر العناية الإلهية راسخة في القِدَم منذ أن تبلورت المعتقدات الدينية في عقل الإنسان، وهي من وجهة النظر التاريخية موضوع قديم، وُجد منذ أن نشأت تلك العضلات والخلاقات في العلاقة بين الإله- أو الآلهة- وبين البشر، وإن لم تذكر صراحة في النصوص وإنما تكون مجرد إشارة سريعة.

في البداية ينبغي الإشارة إلى تاريخ كتابة محاورته سينيكا "عن العناية الإلهية".¹ فعلى الرغم من الأطروحات والمشاركات القيمة لكثير من الكتاب، إلا أن تأريخ محاورته سينيكا يظل غير مؤكد. فمن خلال القراءة الذاتية للموضوع، والمسح التاريخي للمراجع المشار إليها في العمل، على سبيل المثال (المرسل إليه، الأمثلة، الإشارات)، ومن خلال ربط محاورته "De Providentia" بأعمال سينيكا الأخرى لم يثبت الإقرار بتاريخ محدد للعمل.

لقد انقسم المؤرخون والمختصون بالدراسات الكلاسيكية حول تاريخ كتابة عمل سينيكا (عن العناية الإلهية) إلى قسمين، يفترض بعض الكتاب أن محاورته سينيكا "De Providentia" هي إحدى آخر أعماله، وتنتهي إلى "الفترة المظلمة" أي في سنواته الأخيرة (٦٢-٦٥ م) عندما اعتزل سينيكا العمل السياسي^٢، وكرس ما بقي من حياته للإنتاج الأدبي^٣، ويستند أصحاب هذا الرأي على تمجيد سينيكا لكانو (٩٥-٤٦ ق.م)^٤ المدافع الأخير عن الحرية، ومصاحبة الفيلسوف الكلبى ديمتريوس^٥ بالإضافة إلى اختياره لوكيليوس^٦ كمرسل إليه، وكلها إشارات تعزز هذا الرأي.

¹ تجدر الإشارة هنا إلى أن كوينتيليانوس (Quintilianus) سبق وأن أطلق على أعمال سينيكا النثرية، باستثناء الرسائل الأخلاقية، اسم المحاورات Dialogi، وإذا كانت هذه الأعمال في الواقع لا تتطابق في الشكل مع الاسم الذي سميت به (المحاورات)، حيث إنها مختلفة عن محاورات أفلاطون وشيشرون، والتي هي عبارة عن مناقشة بين شخصيات حقيقية في إطار خيالي، أو بمعنى آخر، اعتمد كلاهما على محاورين لإدارة النقاش، لكن سينيكا لم يتبع نفس هذا الشكل في هذه الأعمال، بل نجده يتحدث دائما بصيغة المتكلم، وبعد ذلك يوجه الحديث للشخص الموجه إليه العمل، انظر:

Marzia, Mortarino, et al., *Seneca: Antologia modulare di autori latini* (Torino: loci scriptorum, 2011), 8.

^٢ تجدر الإشارة هنا إلى أن سينيكا كان المستشار الأول والناصح الأمين للإمبراطور الصغير نيرون لمدة خمس سنوات، فكان المسئول عن تصريف شؤون الإمبراطورية الرومانية فيما بين ٥٤ و ٦٢م يعاونه في ذلك (Burrus) قائد الحرس الإمبراطوري، وكانت تلك الفترة مثالاً رائعاً للحكم القائم على العدل والحكمة، لكن بعد أن شب نيرون عن الطوق وأخذ النزاع يدب بينه وبين والدته أجربينا حتى انتهى به الأمر إلى قتلها، وبعد موت (Burrus) لم يشعر سينيكا بالأطمئنان على حياته فطلب إعفائه من منصبه، واعتزال الحياة السياسية.

³ Ermanno, Malaspina, *Seneca De providentia* (Novara: De Agostini Scuola SpA, 2012), 7.

⁴ Sen, De prov. II. 10 - III. 14.

⁵ Sen, De prov, III. 3.

⁶ Sen, De prov, I. 1.

خص سينيكا صديقه جايوس لوكيليوس Gaius Lucilius بثلاثة من أعماله، (المسائل الطبيعية) Naturales quaestiones، (رسائل أخلاقية إلى لوكيليوس) Epistolae morales ad Lucilium، (عن العناية الإلهية) De Providentia دارت خلالها نقاشات متعددة بينهما أشبه بتلك التي تكون بين المعلم والتلميذ، حرص سينيكا خلالها أن يأخذ بيد صديقه الذي تدرج في المناصب الرسمية، حيث شغل منصب نائب صقلية عام (٦٣ - ٦٤ م) من قبل الحكومة الرومانية، إلى التخلي عن تلك الأعباء والسعي نحو الفضيلة والسكينة النفسية. بالإضافة إلى محاولة إقناعه باتباع المذهب الرواقي، وبرز ذلك من خلال عمل (رسائل أخلاقية إلى لوكيليوس). وقد أبدى لوكيليوس في

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

"Cato qua exeat habet: una manu latam libertati viam faciet."¹

"يملك كاتو طريقًا للخروج، بيد واحدة سوف يفتح طريقًا واسعًا نحو الحرية."

بينما يرى عدد من الكتاب أن هناك من الدلائل ما يشير إلى أنها إحدى الأعمال التي كُتبت في سنوات المنفى الطويلة في جزيرة كورسيكا (٤١-٤٨ م)^٢، ومن أصحاب هذا الرأي^٣ Justus Lipsius الذي يذكر أن سينيكا كتب محاورته (عن العناية الإلهية) كي يُعزي ويُسلي نفسه من إزعاج وضيق المنفى تحت حكم الإمبراطور الروماني تيبيريوس كلوديوس (١٠ ق.م - ٥٤ م).

"Filiis amittunt viri boni [...] in exilium mittuntur."⁴

"الرجال الصالحون يفقدون الأبناء [...] يُرسلون إلى المنفى."

ويستشهد أصحاب الرأي السابق بهذا الاقتباس الذي يشير إلى أن الصالحين يفقدون الأبناء، كما قد يُرسلون إلى المنفى، في إشارة إلى المصائب التي حلت بسينيكا في فترة نفيه من روما^٥، ويؤكد Grimal على حقيقة موضوعية واحدة، هي أن هذه المحاور لا يمكن أن تكون سابقة لحكم كاليجولا (Caligula) (٣٧-٤١ م)؛ حيث الإشارة إلى حكم تيبيريوس، كفترة حكم قد ولت^٦.

"Quam bella" inquit "aetas perit!"⁷

"يقول: يا لها من حقبة جميلة قد مضت."

ومن حيث المعالجة التاريخية، فإن ذكر سينيكا لديمتريوس المعارض للإمبراطور نيرون، ومرافقة سينيكا له، إشارة إلى فترة اعتزال سينيكا ويستبعد الرأي الآخر القائل بأن العمل كان في فترة المنفى^٨. يختم الكاتب الإيطالي فرانثيسكو جانكوتّي F. Giancotti هذا الجدال قائلاً: إن اختيار فترة المنفى أو فترة اعتزال سينيكا العمل السياسي كفترة زمنية للمحاورة، يعني تبني رأى لم تؤكد حجة قاطعة^٩.

اشتمل عمل سينيكا "عن العناية الإلهية" على ستة فصول ناقش خلالها الأفكار على النحو التالي:

طرح سينيكا في الفصل الأول سؤالاً مهماً استهل به العمل، هو: لماذا تحدث شرور كثيرة للرجال الصالحين مع أن الكون يُدار بالعناية الإلهية؟ ثم يسوق مجموعة من الحجج والبراهين على وجود الإله الحامي والراعي، موضحاً

البداية تعاطفًا وميلاً إلى الإبيقورية، إلا أنه قد تحول كُلياً إلى الرواقية، وفي وقت كتابة عمل "عن العناية الإلهية" كان ينتمي بقناعة تامة إلى المدرسة الرواقية، غير أنه لم يكن بعد يدرك مغزى بعض العقائد الخفية، والتي كان منها معنى العناية الإلهية. ومن خلال ما ورد في نص عمل "عن العناية الإلهية" يتبين أن لوكيليوس لم يكن يشك في العناية الإلهية، بل كان فقط يشكو منها.

¹ Sen, De prov, II. 10.

² Malaspina, *Seneca De providentia*, 7.

³ جوستوس ليبسيوس (بروكسيل ١٥٤٧- لوفين ١٦٠٦) الفلمنكي المختص بالدراسات الكلاسيكية، عرف بميله إلى مذهب التوافق بين المعتقدات sincretismo، وتأثر بكل من تاكيوتوس وسينيكا في تطوير نظرياته حول السياسة وارتباطها بالأخلاق.

⁴ Sen, De prov. VI. 2.

⁵ Alfonso, Traina, *Seneca La Provvidenza* (Milano: BUR Classici greci e latini, 2014), 46. Traina, *Seneca La Provvidenza*, 46.

⁶ Pierre, Grimal, *Seneca* (Milano: Garzanti Libri s.p.a. 2001), 195.

⁷ Sen, De prov. IV. 4

⁸ Traina, *Seneca La Provvidenza*, 46.

⁹ Traina, *Seneca La Provvidenza*, 48.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

ذلك بأمثلة من الظواهر الطبيعية، ثم يؤكد في خاتمة الفصل على أن هناك علاقة صداقة بين الإله وبين الرجال الصالحين، موضحاً أن ما يصيب الصالحين من محن هو اختبار وإعداد من الإله لهم.

ويوضح في الفصل الثاني، أن الشرور لا تصيب الصالحين لأنهم بالأساس ينظرون إلى كل محنة على أنها خير وتدريب لهم، تماماً كما هو الحال بالنسبة للرياضيين والأبطال في ساحات المعارك، فالشجاعة تخور إن لم تجد منازلًا قوياً، ويؤكد على أن الإله يُكن مشاعر أبوة ومحبة إلى الصالحين، وأن هذه المحن تسهم في الحصول على القوة الحقيقية وهي الفضيلة، ثم يسوق عدة أمثلة للأبطال أبرزهم كاتو، ويختتم الفصل بالحديث في إشارات سريعة عن الفضيلة والانتحار والموت. فمن كانت نهايتهم محمودة يخلدهم الموت.

ويوضح في الفصل الثالث، أن الشرور ليست كما تبدو في ظاهرها ولكنها تنطوي على خير عظيم ربما يقف على حقيقته المرء فيما بعد، وهذا ما يمكن فهمه من خلال التعبير: "في الشر يكمن الخير". ويؤكد أن الشرور تعود بالنفع على من تحدث لهم، وكذلك بالنفع على الجميع، وإن هذه الشرور تأتي بناءً على رغبة الصالحين أنفسهم. ويضرب سينيكا عدة أمثلة من بينها ديميتريوس وسقراط.

ويوضح في الفصل الرابع، أن الحظ والأحداث الإيجابية لا تصيب إلا العامة ومن لا يملكون طموحات سامية، بينما الصالحين هم من يختارهم الإله لتحمل المحن لأسباب عديدة منها: أن الإله يمتحن من هم أعزاء عليه، وأن هذه المحن هي فرصة لمعرفة حقيقة أنفسنا، وهي أيضاً فرصة جيدة للوصول إلى منزلة الفضيلة، فبدون الاختبار لن يدرك المرء مدى قوة تحمله وصبره على الشدائد، وإن قضاء الحياة في رغد من العيش يعنى أن يجهد المرء الوجه الآخر للطبيعة.

ويوضح في الفصل الخامس، أن الإله حكيم في تدبير الأمور، وأن الشرور الحقيقية هي ما يصيب بها الأشرار وحدهم وأن الخير هو ما يرسله إلى الصالحين، فالثروة ليست غنى حقيقي كما أن المحن والشدائد تستدعي وجود رجال أشداء قادرين على التحمل، وكما أن النار تختبر الذهب، تختبر المحن الرجال الصالحين، وعلى هذا المنوال يستمر الصالحين في الصبر إلى أن يصلوا إلى مناقشة الإله الإفصاح لهم عن مشيئته حتى يبلوها مسبقاً قبل أن تفودهم الأقدار إليها وهذا ما فعله ديميتريوس.

ويختتم سينيكا عمله في الفصل السادس بطرح ذات السؤال الذي استهل به العمل في الفصل الأول، ويؤكد أن الإله قد أبعد عن الصالحين كل الأمور السيئة مثل الطمع والرغبة العمياء والجشع، وأوضح أن الصالحين في تحملهم لهذه الشدائد يصبحون بذلك معلمين للآخرين ومثلاً يحتذى به. وقد جسد سينيكا الإله في ختام هذا الفصل (Prosopopoeia Cap.VI.3-9)، حيث يتحدث الإله بنفسه، في مشهد يسمح للقارئ أن يرى الجانب المشرق من الأشياء، الأمر الذي يجعل هذا الجزء مميزاً ومختلفاً عن باقي المحاور. ويقدم سينيكا نصيحة بازدياء متع الحياة الدنيا لأن مصير الإنسان إلى زوال.

شكلت محاوره سينيكا "De Providentia" مع الكتابات المسيحية في القرن الأول الميلادي دلالة فريدة على محاولة اكتشاف واستخراج معنى لألم ومعاناة الإنسان، وربطهما بالإرادة الإلهية¹. وإن عمل عن العناية الإلهية، كباقي أعمال سينيكا الفلسفية، ليس نصّاً تعليمياً، وإنما هو عمل فلسفي قصير، ولم يكن سينيكا أول من تطرق إلى

¹ Eckard, Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca e il suo rapporto con il pensiero cristiano", *Sonderdrucke aus der Albert-Ludwigs-Universität Freiburg*, vol. 13 (2000): 55.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

موضوع العناية الإلهية، إلا أن عمل سينيكا في حد ذاته، يختلف عن أقرانه، حتى وإن حمل نفس المُسمى، من حيث الأنماط والخصائص الأدبية:

من حيث إدراج عمل "De Providentia" تحت مسمى المحاورات (كمحاورات أفلاطون وشيشرون) على الرغم من خلوه من المكونات الرئيسية للمحاورة، بمعنى خلوه من أصوات المحاورين المتعددة، التي تتبع بعضها البعض (بالأخذ والعطاء - السؤال والجواب) تارة بجمل قصيرة جياشة، وتارة بفقرات طويلة وجدلية على العكس من محاورة بطلها الوحيد هو سينيكا، وافتقادها لما يسمى البناء الدرامي، أو بالأحرى العرض التمهيدي للمكان والزمان الذي كان قد نظم فيه العمل، وأيضاً للأشخاص الذين أخذوا فيها دوراً¹. فقد كان سينيكا هو نفسه المتكلم والمخاطب، وهو من يطرح الأسئلة ومن يأتي بالجواب.

وتختلف العناية الإلهية لسينيكا عن سواها من حيث المعالجة للموضوع، فإن أسلاف سينيكا أمثال (خريسيوس وبانابتيوس وفيلون الإسكندري) كانوا قد كرسوا أعمالاً أكثر تفصيلاً في قضية العناية الإلهية موضوع البحث، بينما يقتصر عمل عن العناية الإلهية "De Providentia" لسينيكا على محاولة تقديم إجابة للسؤال الأكثر قدماً في العالم، والذي طرحه سينيكا على نفسه مخاطباً فيه لوكيليوس حيث يقول:

"Quaesisti a me, Lucili, quid ita,
si providentia mundus ageretur,
multa bonis viris mala acciderent."²

"أنت تسألني؛ يا لوكيليوس، لماذا تحدث شرور كثيرة

للرجال الصالحين مع أن الكون يُدار بالعناية الإلهية."³

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الرواد الأوائل ممن تحدثوا في العناية الإلهية فيما قبل سينيكا، حيث نجد في البداية صدق للعناية الإلهية في أعمال أفلاطون Πλάτων مثل محاورة تيمايوس Τίμαιος التي توضح أن موضوع العناية الإلهية والعلاقة بين الإله وبين البشر قد شكل تغيراً جوهرياً لدى أفلاطون، وأصبحت العلاقة أكثر تفاعلية، حيث إن الإنسان لم يعد مجرد مادة أو شأن سلبي، بل هو الآن يمثل دور البطل الواعي المدرك للتدبير الإلهي⁴، وكذلك في محاورة الجمهورية Πολιτεία لأفلاطون، والتي ألفت بظلالها على جانب من جوانب العناية الإلهية، وهو معاناة الصالحين، في محاكاة شبيهة لحديث سينيكا في عمله "عن العناية الإلهية"، فيوضح أفلاطون أن هناك ثلاث إجابات لهذه المعاناة: الإجابة الأخلاقية: وهي أن المعاناة توصل إلى إدراك حقيقة الأشياء، وهذا الوعي يعد بمثابة المكافأة على التحمل. الإجابة الكونية: وهي أن قوانين كونية تُخضع أحداث وأحوال الفرد، ومنها

¹ Malaspina, *Seneca De providentia*, 5.

² Sen, *De prov.* I. 1.

³ أنور بهنسي محمد شاهين، "الشر والمعاناة في "العناية الإلهية" لسينيكا و"زهرة الصحراء" لليوباردي دراسة تحليلية مقارنة"، حولية أوراق كلاسيكية، كلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ٧ (٢٠٠٧): ٣٤٩.

⁴ يقول أفلاطون في محاورة تيمايوس: "شاء الرب أن تكون الأشياء كلها سالحة وأن لا يكون أي شيء سيئاً بالقدر الذي يمكن نيل ذلك".

انظر

Plato, *Ti*, 29e -30c. q.v.; Enrico V, Maltese, *Platone Tutte le opere Repubblica; Timeo; Crizia* (Roma: Grandi Tascabili Economici Newton 1997).

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

المعانة، لما فيه الخير (الانسجام) للجميع. الإجابة الخاصة بالعالم الأخروي: وهي أن ثمرة المعانة تتمثل في خلود الروح في الآخرة¹.

ولقد بين أفلاطون أن الآلهة لا تصيب الصالحين إلا بما هو خير، وإن المحن التي تقع لهم ما هي إلا تكفير عن ذنوب الماضي، وعلى الرغم من ذلك فإنها تحمل لهم الخير سواء حال حياتهم أو بعد مماتهم. وفي هذا صدى لحديث أفلاطون عند سينيكا "Seneca" في شأن المعانة، حيث يوضح سينيكا أن المحن تعود بالنفع على من تحدث لهم وكذلك على الجميع، بالإضافة إلى بلوغ الصالحين منزلة مساوية للآلهة كما سوف يتضح.

ومن أبرز الرواد الذين تحدثوا في العناية الإلهية كان خريسيبوس Χρύσιππος (٢٨٠-٢٠٤ ق.م)، الذي كتب في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد²، أول عمل فلسفي واضح عن العناية الإلهية "Περὶ Προνοίας"، ولم يصلنا منه سوى شذرات³.

إن الموضوع الرئيسي لعمل سينيكا "De Providentia" هو العدالة الإلهية⁴ المشتق من اليونانية θεός⁵، أو δίκη، أو بالأحرى، معالجة السبب وراء إرسال الإله للشور، ولماذا تحل تلك الشرور بالصالحين، على الرغم من صلاحهم ومن وجود العناية الإلهية⁶. ويتضح من خلال عمل سينيكا أنه لم ينو أو يفكر في الاستفاضة والتطرق إلى إظهار مسألة وجود الإله أو وجود العناية الإلهية التي يقتنع بوجودها. وإنما تدرج في حديثه الموجز عن العناية الإلهية متجهًا نحو المعانة التي في ظاهرها يكمن الشر وفي باطنها خير كثير، لأنها طبقًا لمفهوم الفيلسوف الرواقي بمثابة اختبار من الإله للإنسان، فالشر الحقيقي هو معارضة الإرادة الإلهية⁷.

¹ Traina, *Seneca La Providenza*, p.8. Cf. Plato, R. X, 612e- 613b.

² Silvia, Fazzo, *Alessandro di Afrodizia La Providenza Questioni Sulla Providenza* (Milano: BUR classici greci e latini, 1999), 18.

³ Cfr. Ioannis Ab Arnim, *Stoicorum Veterum Fragmenta*, Chrysippi Fragmenta Logica Et Physica, Vol. 2 (Vindobonae: STEREOTYPATA 1902), 1168-1186.

يقول خريسيبوس:

“τὸ τέλος καὶ ταγαθὸν τῶν θεῶν. εἶναι λέγειν
ἐν τῇ τῶν θνητῶν τάξει τε καὶ προνοία.” (SVF. II. 1118. 19-20).

"إن غاية الآلهة وخيريتها، تعود إلى النظام

والعناية الإلهية التي يمارسها على الفانين".

ويقول أيضًا: "ماذا سيتبقي من الثلج إن نزع منه اللون الأبيض أو البرودة؟ ومن النار إن نزع منها الحرارة، ومن العسل إن نزع منه الحلاوة، ومن النفس إن نزع منها الحركة، ومن الإله إن نزع منه العناية الإلهية؟" انظر: (SVF. II. 1118. 25-28).

⁴ Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca", 55.

⁵ Malaspina, *Seneca De providentia*, 9.

⁶ بالقدر الذي أثبت فيه الرواقيون العناية الإلهية أنكروا الإبيقوريين وقالوا أنها وهم من الأوهام، ولقد أنكر إبيقوروس أي تدخل للإله في الأحداث البشرية ونفى وجود الحاجة إلى العناية الإلهية، وهاجم أيضًا العدالة الإلهية، حيث ذكر لكتانوس في عمله De ira Dei، "13,20" ما قاله إبيقوروس إذ يقول: "الإله إما أنه يريد أن يمحو الشر أو أنه لا يستطيع، أو أنه يستطيع ولكنه لا يريد، أو أنه لا يريد ولا يستطيع، أو أنه يريد ويستطيع. فإذا كانت الحالة الأولى صوابًا فالإله عاجز إذن، وإذا كانت الثانية فإنه حاق، وإذا كانت الثالثة فإنه عاجزًا وحاقدًا وإذا كانت الحالة الرابعة والتي تتوافق مع مقام الإله فلماذا إذا لا يفعل ذلك إن كان حقًا يريد ويستطيع". انظر:

Traina, *Seneca La Providenza*, 9.

⁷ أنور بهنسي محمد شاهين، "الشر والمعانة في "العناية الإلهية" لسينيكا"، ٣٤٩.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

يشرح سينيكا في هذا العمل "عن العناية الإلهية" ما يخفى خلف طبيعة المعاناة ولماذا ينبغي على الرواقي أن يتحمل المحن، فيقول في الفقرة السادسة من الفصل الأول، ينبغي أن نعلم جيداً أن الإله لن يُبقي الرجل الحكيم الصالح وسط المتع والنعيم، بل سوف يضعه في اختبارات عديدة، سوف يمتحنه، وسوف يُعده من أجل نفسه.

"Idem tibi de deo liqueat: bonum
virum in deliciis non habet,
experitur, indurat, sibi illum parat."¹

"فلتكن واضحة لديك هذه الفكرة عن الإله:

أنه لن يُبقي الرجل الصالح وسط المتع،

وإنما يمتحنه، ويقويه، يجهزه من أجل ذاته."

أي أن الإله يجعل من المحن والمعاناة اختباراً للصالحين من خلاله تقوية عزيمتهم ويصبحون حاضرون لذلك أمام متاعب الحياة ليصلوا في النهاية إلى منزلة الفضيلة.

"Avida est periculi virtus."²

"تكون الفضيلة متلهفة للخطر."

مما يعني أن الفضيلة متحمسة إلى تخطي المخاطر، دون النظر إلى ما سوف تواجهه من معاناة، وذلك لأن المعاناة في حد ذاتها هي جزء من المجد. وخير مثال على ذلك هم الجنود الذين يفخرون بجراحهم وبدمائهم التي نزفت. فالمعاناة ليست شراً في حد ذاتها ولكنها عندما تُفهم بشكل صحيح يتبين أنها تُفيد في اختبار الأشخاص الصالحين وتقويتهم³. وأن الإله لا يرسل المعاناة - في حال القول إنها من عند الإله - تعسفاً، بل ليختبر بها الإنسان، كما أن الإله يحدد للرجال الصالحين مصيراً شاقاً يجب عليهم أن يواجهوه، وأن يكتسبوا من خلاله الخبرة والحكمة⁴.

"Fortunam illis cum qua exercentur adsignat?"⁵

"إنه (الإله) يحدد لهم مصيراً من خلاله يتديرون؟"

وعلاوة على ذلك، يوضح سينيكا كيف أن الرواقي الحكيم يتحمل المعاناة بهدوء وسكينة، بل إنه يُسلم طواعية وعن طيب خاطر بما يقرره القدر كي يحفظ بذلك كرامته. فهو يعلم يقيناً أن النتيجة سوف تكون واحدة سواء قاوم أو عادي القدر. وأن ما قد تقرر حدوثه سوف يكون، وأن الحياة سوف تختلف كلياً وفقاً لقبولنا ذلك من عدمه⁶. كما أن الرجال الأقوياء يبتهجون بالمصائب والنكبات⁷.

¹ Sen, De prov. I. 6.

² Sen, De prov. IV. 4.

³ Brian Jordan Tabb, "Suffering in Ancient Worldview: A Comparative Study of Acts, Fourth Maccabees, Maccabees, and Seneca" (PhD diss., Middlesex University London 2013), 27

⁴ Lefèvre., "Il De Providentia di Seneca", 64.

⁵ Sen, De prov. II. 7.

⁶ Theron, Louise, "Progression of thought in Seneca's "De Providentia" C.vi", *Acta Classica*, vol.13, (1970): 68.

⁷ Cfr. Sen, De prov. IV. 4.

"Ita adversarum impetus rerum
viri fortis non vertit animum.¹"

"هكذا فإن هجوم المحن لا

يثني روح الرجل القوي."

على هذا النحو يظل الرجل الحكيم قويًا على حالته لا تُغيره أو تُثنيه المحن، يمتص بصدر رحب كل ما يحدث، لأنه في حقيقة الأمر أكثر قوة من كل الأحداث الخارجية. ويتابع سينيكا أن المحن تقلق بالفعل الرجل الصالح لكنه يتغلب عليها، ويفضل الهدوء والسكينة يسمو فوق كل هجمات المحن.²

"Omnia adversa exercitationes putat.³"

"إنه يعتبر كل المحن تدريبات (تجارب)."

وحيث إن الرجل الحكيم أقوى من كل المحن، يطرح سينيكا في ذات الفقرة السابقة ذاتها تساؤلًا استنكاريًا، يقول في مضمونه: أليس واضحًا أن الرجل القوي النبيل صاحب الشهرة يرغب بقوة في الكفاح والجهد العادل وهو على أتم الاستعداد لمواجهة المخاطر من أجل واجبه؟ أليس أن الفتور والكسل بالنسبة للرجل المثابر هو نوع من أنواع العقاب؟⁴ هكذا الصالحون إذن على أتم الاستعداد لمواجهة المحن والشروع مثلهم في ذلك مثل المحاربين الأشداء الذين يتصارعون مع خصوم أكثر منهم بسالة، بل ويطلبون من مدربيهم أثناء التدريب أن يستنفدوا كل قواهم معهم، وأن يبذلوا كل طاقتهم كي يعدونهم بشكل جيد لخوض المسابقة. كما أن المحاربين الأشداء يتصارعون مع أكثر من مقاتل في وقت واحد إذا لم يجدوا مقاتلًا في قوتهم.

وينبغي أيضًا على الرواقي أن يقاتل وأن لا يستسلم أو يضعف⁵ وذلك لأن القوة تخور وتضعف إذا لم يكن هناك خصمًا قويًا تنازله:

"Marcet sine adversario virtus.⁶"

"تضعف الشجاعة ما لم يوجد خصم."

على الرغم من قصر عمل سينيكا عن العناية الإلهية، إلا أن ما يميزه، هو تكريس سينيكا كتابًا خاصًا لأول مرة يعالج تلك التساؤلات. إن عمل "عن العناية الإلهية" لسينيكا هو عمل دفاعي عن العقيدة، أي عن المذهب الرواقي وعن الآلهة، حيث لم يتهم سينيكا الآلهة بل دافع عنها وتولى دور المحامي في قضية الآلهة.⁷ يشرح سينيكا نفسه أنه سوف يعالج قضية واحدة فقط، وهي التساؤل عن لماذا تحدث شرور كثيرة للرجال الصالحين مع أن الكون يُدار بالعناية الإلهية، ويبين أنه لمعالجة قضية العناية الإلهية بشكل دقيق فمن الأجدر أن نتناقش في حديث خاص بها:

"Hoc commodius in contextu operis redderetur,

¹ Sen, De prov. II. 1.

² Sen, De prov. II. 1-2.

³ Sen, De prov. II. 2.

⁴ Sen, De prov. II. 2.

⁵ Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca", 61.

⁶ Sen, De prov. II. 4.

⁷ Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca", 56.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

cum praeesse universis providentiam probaremus
et interesse nobis deum; sed quoniam a toto
particulam revelli placet et unam contradictionem
manente lite integra solvere, faciam rem non
difficilem, causam deorum agam.¹

"من الممكن أن يكون ذلك معروضًا أفضل من خلال دراسة مستفيضة
عندما نريد أن نظهر أن العناية الإلهية تهيمن على جميع الأشياء،
وأن الإله يهتم بنا، ولكن حيث إنني قررت أن أستخرج من المضمون
العام جزءًا صغيرًا وأحل تناقضًا واحدًا فقط، تاركًا الجدل (في مكمته)
فإنني أعمل عملاً ليس صعبًا: سوف أدافع عن قضية (عذر) الآلهة."²

فقد شكل دفاع سينيكا عن الآلهة تناقضًا لا يتعارض مع الموضوع الرئيس، حيث إن الرجل العادي يقدم على
اتهام الآلهة حينما تتكالب عليه المحن، إلا أن سينيكا الذي نهل من المذهب الرواقي وتشبع بمبادئه يدرك ما يخفى
على الرجل العادي، ويقف بجانب الآلهة التي يؤمن بها ويعي مقاصدها التي قد تم الإشارة إلى بعضها في قضية
المعاناة. بالإضافة إلى أن أسلوب التناقض هو سمة من سمات سينيكا في الكتابة يريد سينيكا من ورائه التشويق
والإثارة من أجل عمله الاستثنائي.³

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عمل "عن العناية الإلهية" لسينيكا هو عمل شخصي تمامًا، نُظم في موقف كان
سينيكا فيه مهددًا بالموت بشكل دائم⁴ - على فرض أنه كتب في فترة اعتزاله - على خلفية اتهامه بالتآمر ضد
نيرون، الذي لربما كان قد أوعز إلى سينيكا أن ينهي حياته ببديه. ومن ثم فإن دفاع سينيكا عن الآلهة هو في
الحقيقة دفاع عن نفسه، فالشروع التي واجهها سينيكا بداية من اتهامه بعلاقة غرامية بشقيقة الإمبراطور كاليجولا
ونفيه إلى جزيرة كورسيكا حيث قضى هناك ثمانية أعوام، واتهامه بالتآمر مع السيناتور جايوس بيزو Gaius Piso
ضد الإمبراطور نيرون، والحكم عليه بالموت، كلها نكبات قد عانى منها سينيكا، وحيث إنه رواقي بلغ قدرًا من
الحكمة، فهو يدرك أن الشرور تحمل في طياتها الخير لمن تأتي إليه منفردًا، كما يُشار هنا:

"Pro ipsis esse quibus accident."⁵

"تكون لمصلحة هؤلاء أنفسهم الذين تقع لهم."

أو سواء تلحق بالجميع:

"Pro universis."⁶

"لمصلحة الجميع."

¹ Sen, De prov. I. 1.

² أنور بهنسي محمد شاهين، "الشر والمعاناة في "العناية الإلهية" لسينيكا"، ٣٥٠.

³ Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca", 56-57.

⁴ Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca", 60.

⁵ Sen, De prov. III. 1.

⁶ Sen, De prov. III. 1.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

فالرجال الأقوياء هم من يضرب بهم المثل. وهو حال سينيكا، حيث يضرب لصديقه لوكيليوس ولجموع الناس أبلغ المثل في التحمل والصبر على الشدائد كرجل رواقى عظيم محب للآلهة. بالإضافة إلى أن ما يميز عمل سينيكا عن سواه، أن سينيكا قد أقر وقدم في الخاتمة Peroratio أصدق شهادة على صحة عرضه وبيانه، حيث إن الإله نفسه (Deus) هو من يلقي الحوار الختامي، وسط حالة من الزخم العاطفي المشابه لخاتمة عمل (Ad Marciam de Consolatione عزاء إلى ماركيا)، حيث إن جد الطفل ميتليوس "Metilius"، وهو " Aulus Cremutius Cordus" يشرح من العالم الآخر لابنته "Marcia" الحياة بعد الموت¹.

جسد سينيكا الإله في ختام عمله "عن العناية الإلهية" (Prosopopoeia c.vi.3-9)، حيث يتحدث الإله بنفسه، في مشهد يسمح للقارئ أن يرى الجانب المشرق من الأشياء، وقد نقل فيه سينيكا القارئ من الحديث عن نقاط محددة إلى نقاط أوسع، مضاعفًا من حدة النبوة، الأمر الذي يجعل هذا الجزء مميّزًا ومختلفًا عن باقي الحوار² فالإله نفسه هو من يلقي الحديث الختامي، وعلى الرغم من وجود القانون السرمدي الذي يحكم حياة الإنسان، يخاطب الإله الصالحين بقوله:

“At multa incident tristia,
horrenda, dura toleratu.”

“Quia non poteram vos istis
subducere, animos vestros
adversus omnia armavi.”³

"ولكن تقع أحداث كثيرة محزنة،

ومرعبة، يصعب تحملها."

وحيث أنني لم أتمكن من أن

أخلصكم منها، فقد حصنت

أرواحكم ضد كل شيء."

يوضح سينيكا أن هناك أحداث عصبية تقع للإنسان في الحياة، أحداث فرضها القدر على الإنسان. وحيث إن الإله يعلم مدى صعوبة هذه الأحداث والمحن، وحيث إنه لا يمكنه أن يغير الأقدار أو أن ينتزع الإنسان من هذه المحن، فقد سلّح وأمد نفوس الصالحين بكل ما من شأنه أن يساعدها على مواجهة كافة الأقدار والمصاعب الشاقة. في صورة من صور رحمة وعناية الإله بالإنسان. ويتابع الإله نصحه وحديثه مع الصالحين بقوله:

“Ferte fortiter. Hoc est quo
deum anteceditis: ille extra
patientiam malorum est,
vos supra patientiam.”⁴

¹ Lefèvre., “Il De Providentia di Seneca”, 58.

² Theron, “Progression of thought in Seneca’s “De Providentia”, 70

³ Sen, De prov. VI. 6.

⁴ Sen, De prov. VI. 6.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

"واجهوها بشجاعة. هذا هو الذي تتفوقون فيه

على الإله: فالإله بعيد عن تحمل الشرور،

وأنتم (في مكانة) أعلى منه بالتحمل."

وفيما يخص الحديث عن العناية الإلهية، فإن سينيكا كان قد أشار إليها من قبل في عمله "المسائل الطبيعية"، في ثنايا حديثه عن الإله وطبيعته، حيث يُقر كرواقي، أنه يلزم أولاً لمعرفة الإله والإلهية أن ندرس الطبيعة في مظاهرها المختلفة.

"Vis illum fatum vocare, non errabis; hic est

ex quo suspensa sunt omnia, causa causarum.

Vis illum prouidentiam dicere, recto dices.¹"

"إن أردت أن تسميه القدر، فلن تكون مخطأ.

فكل شيء متوقف عليه، وهو علّة العلل.

وإن أردت أن تسميه العناية الإلهية، سوف تنطق بالحق."

وفي مسرحية فيديرا Phaedra لسينيكا يتوجه الكورس إلى الإله متسائلاً:

"Sed cur idem qui tanta regis,

sub quo vasti pondera mundi

librata suos ducunt orbis,

hominum nimium securus abes,

non sollicitus prodesse bonis,

nocuisse malis?²"

"لكن لماذا - يا مَنْ تحكم ذلك الكون الشاسع،

يا مَنْ تحت إمرته تحدد كتل العالم

الواسع الضخمة مساراتها الذاتية.

لماذا تذهب بعيداً متجاهلاً تماماً شئون

البشر غير حريص على إثابة الأخيار

ومعاقبة الأشرار؟"

وهو التساؤل الأكثر قدماً في العالم حول تحقيق العدالة الدنيوية: إثابة الأخيار ومعاقبة الأشرار، وهو أيضاً تساؤل نجد له صدى لما طرحه سينيكا في عمله عن العناية الإلهية: لماذا تحدث شرور كثيرة للرجال الصالحين مع أن الكون يُدار بالعناية الإلهية.

¹ Sen, Qu.nat, I, 45.2

² Sen, Pha. 972-977.

³ عبدالمعطي شعراوي، سينيكا ميديا - فيديرا - أجاممنون (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢)، ٢٨٠.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

أوضح سينيكا المعنى الرواقي للعناية الإلهية وعرفها بأنها القدر ووصفها بأنها الضرورة الحتمية لكل الأشياء والأفعال، وليس هناك أي قوة يمكنها أن تصمد أمام تلك الضرورة أو أن تقهرها، ويؤكد سينيكا بأن الإله مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الضرورة الحتمية¹. ومن خلال المحاوره يمكن أن نستنتج ملامح العالم الأخلاقي لسينيكا، فكل البشر محاطون بالعناية الإلهية التي تمثل القدر أو الإله، فالعناية الإلهية مشتقة من حيث المعنى من "المراقبة عن كذب أو الرؤية المستقبلية"، وهي تشير إلى القوى التي تحدد مصائر البشر:²

"Cum praeesse universis providentiam probaremus."³

"عندما نريد أن نظهر أن العناية الإلهية تهيمن على جميع الأشياء."

والعناية الإلهية هي القول بوجود عقل مُنظَّم ومدبر للعالم، وترتبط العناية الإلهية عند سينيكا بقضية وجود الشر في العالم على الرغم من طبيعة الإله الذي يسمح بوجود الشر من أجل الخير أو من أجل المنفعة، حيث تتخذ العناية الإلهية شكل البلاء أو الشر، إلا أنها في ذاتها تحمل الخير، لكن سينيكا لم يقل بالعناية الإلهية في كل شيء، وذلك حتى لا ينكر على الإنسان وجود ولو جزء بسيط من الاختيار الحر والمسؤولية لديه⁴.

كان الإله عند الرواقيين - وعلى رأسهم سينيكا - هو المهيمن على كل الكون، وهو الذي أبدع الكون المادي للأشياء، لذلك فقد اعتبروه جوهر العالم وحقيقته، وأطلقوا عليه اسم الطبيعة (Natura)، فأصبح بذلك الإله والطبيعة يدلان على حقيقة شاملة. ولقد سمي الفلاسفة الرواقيون الإله بأسماء أخرى منها القدر (Fatum) والعناية الإلهية (Providentia) والكون (Mundus) وكلها أسماء عبرت عن قوة الإله وسيادته وهيمنته.

"Vis illum, naturam vocare, non peccabis; hic est ex quo nata sunt omnia, cuius spiritu vivimus.

Vis illum vocare mundum, non falleris."⁵

"إذا أردت أن تسمى تلك القوى بالطبيعة، فلن تكون مخطئاً، فلقد

ولدت منها جميع المخلوقات التي تحيا بالهواء الذي نتنفسه،

وإذا أردت أن تطلق عليها اسم الكون، فلن تكون مخطئاً."⁶

فهنا يوضح سينيكا أن هناك نظاماً، قانوناً أبدئياً يتواجد في كل مكان، يحكم الأحداث، وأن هذا العالم لا يمكن أن يكون خالياً من حاج له. وأنه خلف الظواهر الواضحة وغير المنتظمة يوجد قانون السببية القوي⁷.

¹ J. H. M, Salmon, "Stoicism and Roman Example: Seneca and Tacitus in Jacobean England", *Journal of the History of Ideas*, Vol. 50, No. 2. (1989): 203.

² مروة عبد الله عباس محمد، "محاوره "عن العناية الإلهية De Providentia" لسينيكا دراسة في وسائل الربط النصي" (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة الأوروبية القديمة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٥)، ٢٠.

³ Sen, De prov. I,1.

⁴ Mario, Scaffidi Abbate, *Lucio Anneo Seneca Come vivere a lungo e la provvidenza* (Roma: Newton Compton editori s.r.l, 1993), 19-21.

⁵ Sen, Qu.nat, II.45.2.

⁶ ليلي محمد عبد المنعم أحمد، "الآلهة والأخلاق في أعمال سينيكا النثرية والشعرية" (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة اليونانية الرومانية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨)، ٨.

⁷ Sen, De prov. I. 2.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

كان سينيكا مهتمًا إلى حد ما بالنظريات الطبيعية، وكثيرًا ما يستخدم الموضوعات الطبيعية كفرصة جيدة للوصول إلى نتائج أخلاقية. وقد خصص سينيكا عملاً نثريًا، كما تبين من قبل، تحت عنوان "المسائل الطبيعية Naturales Quaestiones" ليقدم فيه رؤية عن النظريات القديمة عن الكون وعن علم الأرصاد الجوية، وقد تحدث فيه عن ظاهرة الزلازل التي حدثت في إقليم كامبانيا بإيطاليا (٦٣م)^١ لتزوده بمادة للحديث الأخلاقي^٢، كما أنه استشهد بالظواهر الطبيعية الكونية في الفصل الأول من عمله "عن العناية الإلهية" كي يبرهن على وجود العناية الإلهية. فيشير إلى أن تجمع النجوم وتجوؤها في الفلك لا يتم بمحض الصدفة أو بطريقة عشوائية:

"Nec hunc siderum coetum discursumque

Fortuiti impetus esse, et quae casus

incitat saepe turbari et cito arietare.³"

"إن تجاذب وتنافر الأفلاك لا يحدث بشكل

عشوائي، وإن تلك الأمور التي يحركها (قانون)

الصدفة تكون غير مرتبة (منظمة)."

فالأشياء التي تقع بمحض الصدفة غالبًا ما تضطرب وسريعًا ما تتصادم، وإن هذه الحركة السريعة تتم وفقًا لقانون سرمدى^٤:

"Hanc inoffensam velocitatem procedere aeternae legis⁵"

"هذه السرعة الخالية من العوائق تتم وفقًا لقانون سرمدى."

هكذا يؤمن سينيكا أن كل شيء يحدث له دلالاته وعلته، ويقر كما أقر الرواقيون الأوائل بأن كل شيء قد خُلق لهدف معين، وخلق من أجلنا نحن البشر، وأن هناك عناية إلهية تحكم حياتنا^٦. ويوضح في رسائله الأخلاقية أن هذا الكون الذي يحتوينا ويحيط بنا واحد، وهو الإله نفسه، وأتينا حلفاء له (سلالته)، وأن روحنا لديها القدرة على إدراكه والوصول إليه، إذا لم تتحدر بها الرذائل إلى الأسفل^٧.

ويمثل الإله بالنسبة لسينيكا حقيقة عظيمة، فهو أساس هذا الكون ومبدعه، وهو القوى العليا الخالقة التي شكلت جميع الظواهر الطبيعية والحياة الإنسانية، فهو يشكل الوجود الروحي والمعنوي، وهو حامينا وراعينا وهادينا، وهو الذي يراقب أعمالنا الصالحة والطالحة، وروحه تسكن أجسادنا:

¹ Cfr. Sen, Qu.nat, VI. 27. 1-4.

² فرديريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان وروما)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، العدد ٤٣٦، ٢٠٠٢)، ٥١٧. انظر أيضًا:

Marco, Beretta, et al. , *Seneca e le scienze naturali*, (Firenze: Leo S. Olschki, 2012), 97.

³ Sen, De prov. I. 2.

⁴ Sen, De prov. I. 2.

⁵ Sen, De prov. I. 2.

⁶ أحمد فهمي عبدالجواد، "سينيكا وظواهر الطبيعة الكونية في عمله عن العناية الإلهية"، أعمال المؤتمر الدولي الرابع بعنوان الفكر في مصر عبر العصور، مركز الدراسات البردية والنقوش، ج ١ (٢٠١٣): ٤٤.

⁷ Sen, Ep. mor. XIV. 92. 30.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

"Prope est a te deus, tecum est, intus est."¹

"الإله قريب منك، إنه معك، إنه بداخلك."

ويؤكد سينيكا أن الإنسان يجب عليه أن يتقبل مشيئة الإله²، فهو القوة المدبرة التي تهيمن على كل شيء، وهو الذي يستجيب دعوات الصالحين ويشملهم بلطفه وعنايته الإلهية. ويرى أن الإله هو العلة الأولى في سلسلة من العلل والمعلولات، إن القوة النهائية هي القدر، وهو علة لا ترد ولا تنتقض أحكامها، تدبر شؤون الآلهة والبشر على حد سواء. يعرف الإله إذن ما سوف يحدث ويخطط له، ويؤثر في كل مجريات الأمور لعلمه التام بها قبل وقوعها، وتمثل عنايته الإلهية الخير الأقصى لكل العالم ولجميع الكائنات العاقلة بصفة خاصة³.

إن الإله الخالق (الذي هو بمثابة الأب)، قد وضع على مقربة منا كل ما من شأنه النفع لنا، ولم ينتظر حتى نبحث عن هذه الأشياء النافعة، فقد منحنا إياها بمحض إرادته، وأخفى في غياهب الأرض الأشياء الضارة، فاللوم يعود علينا نحن، لأننا جلبنا من جديد تلك المواد المتسببة في هلاكنا، وألحقنا الضرر بالطبيعة، لقد أخضعنا أنفسنا للمتعة (Voluptas) التي هي مصدر شر لمن يسلم لها نفسه، ووهبنا أنفسنا للشهرة (Fama) وأشياء أخرى تافهة⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن محاورات سينيكا (Dialogi) هي في الواقع عبارة عن مقالات أخلاقية، تهتم بالأخلاق والفلسفة. وحيث إن سينيكا كان من الهداة الناصحين، فضل أن يهدي النفوس عن طريق الاتصال المباشر بالقليلين، وهذا يفسر صداقته بلوكيليوس وإهدائه ثلاثة من أعماله، إلا أنه كان شديد الحرص على أن يسيطر أعمالاً يخلدها التاريخ وتنتفع بها الأجيال القادمة.

لقد اتخذت الكتابات الفلسفية كنمط كتابة لها، شكل الحديث القضائي الروماني، والذي يبنى على أساس من أربع مكونات وهي: prooemium تمهيد، narratio شرح، argumentatio نقاش وبرهان، epilogus خاتمة، وفقاً للسمات الواضحة في عمل "عن العناية الإلهية" فلقد ناسب الأسلوب البلاغي هذا العمل، وعرف سينيكا عمله

"عن العناية الإلهية De Providentia" بأنه oratio حديث خطابي.

"Sed iam procedente oratione."⁵

"ولكن علاوة على ما سبق في الحديث."

وتعددت الآراء حول تقسيم عمل سينيكا "عن العناية الإلهية" من حيث توافقه وإتباعه لشكل الحديث القضائي ومكوناته الأربع. ربما لأن سينيكا الفيلسوف الرواقي الذي يختلف أسلوب كتابته عن أقرانه، تنتسب أفكاره وتتنوع أساليبه؛ فكثيراً ما يستخدم أسلوب ضرب المثل والإقناع بالحجة والدليل في معالجته لهذا الجزء البسيط الذي يدور حول العناية الإلهية، وأن الفكرة الواحدة تتفرق وتعالج في أكثر من فصل في داخل العمل، فعلى سبيل المثال، في ثنايا معالجته لقضية الشرور mala ورد ذكرها أو الإيماء إليها في الفصل الثالث والرابع والخامس والسادس. وحيث إن الهدف الرئيس من كتابات سينيكا الفلسفية هو إقناع المتلقين، فقد حرص على أن يمنح أسلوبه دفعة عاطفية

¹ Sen, Ep. mor. XLI. 1. 6.

² Sen, Ep. mor. VIII. 74. 20.

³ مروة عبد الله عباس محمد، "محاورة" عن العناية الإلهية "De Providentia" 9.

⁴ Sen, Ep. mor. XIX. 110. 10.

⁵ Sen, De prov. III.1.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

وخطابية، حيث كانت النزعة الخطابية والميل إلى المبالغات والصور البلاغية سمة من سمات العصر الفضي. وعلى هذا يمكن توضيح التقسيم التالي الذي يعد بمثابة خريطة توضيحية للعمل على النحو التالي:

- I. التمهيد prooemium يبدأ جلياً في الكتاب الأول الفقرة الأولى (١،١).
- II. الشرح narratio (١، ٢-٢، ١٢).
- III. النقاش والبرهان argumentatio (٣، ١-٦، ٢).
- الافتراض والتقسيم propositio/divisio (٣، ١).
١. الشر خير في ذاته (٣، ٢-٤، ١٦).
٢. الشر خير للجميع (٥، ١-٥، ٢).
٣. الشر يقع لمن يرغبون به (٥، ٣-٥، ٦).
٤. الشر والقدر (٥، ٧-٥، ١١).
٥. الرجل الصالح ومن يملك الفضيلة Virtus لا يمكن أن يكون حزيناً (٦، ١-٦، ٢).
- IV. الخاتمة epilogus/peroratio (٦، ٣-٦، ٩).

وختاماً تُعد محاورته سينيكا "عن العناية الإلهية De Providentia" عملاً خطابياً أكثر من كونها عملاً جدلياً، والقضايا التي ناقشها سينيكا في محاورته، كانت حاضرة أيضاً في أعماله الأخرى، وذلك لأن ما كان يقدمه يتجه دائماً نحو هدف ومقصد أخلاقي. وهي ذاتها القضايا الجدلية في المذهب الرواقي، وفي بعض الأحيان كان سينيكا يبتعد عن الآراء الرواقية لكي يعبر عن فكره الخاص، ولذلك نجده يقتبس من الغير حتى من إبيقوروس ذاته، لقد اقتبس منه العديد من الأقوال التي يرى فيها أنها ليست قاصرة على إبيقوروس وحده بل هي ملك للجميع. كما أنه اقتبس رأي إبيقوروس نفسه كي يرد على الشبهات التي قالت بتخليه عن المذهب الرواقي على إثر اقتباسه من المذاهب الأخرى، فيقول إن إبيقوروس نفسه قد سئل ماذا تقول في الاقتباس من الآخرين؟ فأجاب بأن كل ما هو حق هو ملك لي، وهو ما يتضح من كلماته التالية:

"Sciant quae optima sunt esse communia."²

"ليتهم يعرفون أن الأشياء الرائعة هي الأشياء المشتركة بين الجميع."

ويقول أيضاً:

"Hoc ipse quoque facio; ex pluribus
quae legi aliquid apprehendo."³

"أنا نفسي أفعل هذا، أقتبس شيئاً من بين العديد مما قرأت."

¹ Lefèvre, "Il De Providentia di Seneca", 58-59. Cfr. Malaspina, *Seneca De providentia*, 13-14.

² Sen, Ep. mor. I. 12. 11.

³ Sen, Ep. mor. I. 2. 5.

ماهية العناية الإلهية عند سينيكا من خلال محاورته "De Providentia"

وكان سينيكا مقرباً لدى الفيلسوف الكلبي ديميتريوس^١ (Demetrius) حتى أنه طالما اعتر بإرشاداته الفكرية وصدافته ولا يتحدث عنه إلا بالقول "أستاذنا ديميتريوس أفضل الرجال" (Demetrius noster, virorum optimus)^٢. وفي عمل "عن العناية الإلهية" نجد أن سينيكا قد اقتبس منه أحد أقواله، حيث يقول:

"Inter multa magna Demetri nostri et haec vox est, a qua recens sum; sonat adhuc et vibrat in auribus meis: "Nihil" inquit "mihi videtur infelicius eo cui nihil umquam evenit adversi."^٣

"من بين الأقوال العظيمة لصديقنا ديميتريوس، هناك أيضاً هذا (القول) الذي سمعته منذ قليل ومازال حاضراً يرن في أذني: يقول "لا شيء يبدو لي أكثر تعاسة من ذلك الذي لم تحدث له أبداً محنة."^٤

إن فلسفة سينيكا هي فلسفة معرفية تطبيقية لا تخلو من التناقضات والمصالحات التي تهدف إلى حل مشاكل الحياة، وإلى مساعدة الإنسان أن يعرف ذاته، وأن يدخل في تقارب حميم مع نفسه، وأن يتحرر من الهوى والخوف مستخدماً العقل، لأن العقل هو الامتياز الذي حصلنا عليه بطبيعتنا وبه نتميز ويجب إتباعه. ومن واقع فلسفة وأعمال سينيكا الأخلاقية أسماء دانتي أليجييري "بسينيكا الأخلاقي"^٥.

^١ ديميتريوس الكلبي: فيلسوف يوناني وُلد في أتیکا باليونان في القرن الأول الميلادي، وانتقل إلي روما، وأصبح صديقاً لسينيكا الذي أثري عليه مرات عديدة في أعماله، لكن نيرون نفاه في المرة الأولى، ثم نفاه الإمبراطور فسباسيانوس Vespasianus للمرة الثانية بسبب معارضته، وكانت تعاليم هذا الفيلسوف تحض على ازدياد العلوم، وتحبب في ممارسة الفضيلة التي كان يحث إليها. انظر: أنور بهنسي محمد شاهين، "الشر والمعاناة في "العناية الإلهية" لسينيكا و"زهرة الصحراء" لليوبارد"، ٣٦٦.

^٢ أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري العصر الفضي، (القاهرة: ايجيبتوس للنشر والتوزيع، ١٩٩٠)، ١١٤.

^٣ Sen, De prov. III.3.

^٤ أنور بهنسي محمد شاهين، "الشر والمعاناة في "العناية الإلهية" لسينيكا"، ٣٥٦-٣٥٥.

^٥ Scaffidi Abbate, *Lucio Anneo Seneca Come vivere a lungo*, 10-11.

الخاتمة:

كتب سينيكا عمله "عن العناية الإلهية" من واقع حرصه على نشر التعاليم الأخلاقية وإرشاد الآخرين إلى إتباع المذهب الرواقي، بالإضافة إلى دفاعه عن الآلهة وتوضيح ما خفي عن أمور العناية الإلهية لصديقه لوكيليوس. وعليه فإن سينيكا كان مؤمناً بوجود العناية الإلهية منذ البداية، ولقد أوضح المعنى الرواقي لها وعرفها بأنها القدر ووصفها بأنها الضرورة الحتمية لكل الأشياء والأفعال، وليس هناك أي قوة يمكنها أن تصمد أمام تلك الضرورة أو أن تقهرها، ويؤكد سينيكا بأن الإله مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الضرورة الحتمية. ومن خلال المحاوره يمكن أن نستنتج ملامح العالم الأخلاقي لسينيكا، فكل البشر محاطون بالعناية الإلهية التي تمثل القدر أو الإله، فالعناية الإلهية مشتقة من حيث المعنى من "المراقبة عن كثب أو الرؤية المستقبلية، وهي تشير إلى القوى التي تحدد مصائر البشر. والعناية الإلهية هي القول بوجود عقل مُنظَّم ومدبر للعالم، وترتبط العناية الإلهية عند سينيكا بقضية وجود الشر في العالم على الرغم من طبيعة الإله الذي يسمح بوجود الشر من أجل الخير أو من أجل المنفعة، حيث تتخذ العناية الإلهية شكل البلاء أو الشر، إلا أنها في ذاتها تحمل الخير.

ولقد اقتصر عمل سينيكا "عن العناية الإلهية" على إيضاح البرهان وإبراز الحجج لكي يدلل على وجود العناية الإلهية، على الرغم من توالي نزول المحن والشور على الصالحين. يشرح سينيكا ما يخفى خلف طبيعة المعاناة ولماذا ينبغي على الرواقي أن يتحمل المحن. فيقول ينبغي أن نعلم جيداً أن الإله لن يُبقي على الرجل الحكيم الصالح وسط المتع والنعيم، بل سوف يضعه في اختبارات عديدة، سوف يمتحنه، وسوف يُعده من أجل نفسه. كما يجعل الإله من المحن والمعاناة اختباراً للصالحين من خلاله تقوى عزيمتهم ويتجهزون بذلك أمام متاعب الحياة ليصلوا في النهاية إلى منزلة الفضيلة.

وقصارى القول إن العناية الإلهية هي يد الرب الخفية التي تتقننا من أفعالنا الهوجاء التي قمنا بفعلها خطأ تجاه أنفسنا أو يقوم بها الآخرون في حقنا، لنقودنا نحو الدرب الصحيح مخففة من وطأة المحن والمعاناة التي تصيب الصالحين في شكل اختبار وإعداد لهم كي يتمرسوا على مواجهة صعوبات الحياة وكي يزدادوا قرباً من الإله، وأن الخير فيما هو حاصل الآن حتى وإن بدا شراً، وأن عاقبة الأمور بخواتيمها حالما يستطيع الإنسان أن يدرك أن مشيئة الرب هي الخير للذين يفعلون الخير.

قائمة بالمصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- Seneca, L. Annaeus, *Moral Essays*, translated by John W. London: W. Heinemann. the Loeb Classical Library, vol. 1, (1928).
- Traina, Alfonso, *Seneca La Provvidenza*. Milano: BUR Classici greci e latini, 2014.

ثانياً المراجع العربية:

- أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري العصر الفضي: القاهرة، ايجيبتوس للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
- أحمد فهمي عبدالجواد، سينيكا وظواهر الطبيعة الكونية في عمله عن العناية الإلهية: القاهرة، مركز الدراسات البردية والنقوش، ٢٠١٣.
- أنور بهنسي محمد شاهين، الشر والمعاناة في "العناية الإلهية" لسينيكا و"زهرة الصحراء" لليوباردي دراسة تحليلية مقارنة": كلية الآداب جامعة القاهرة، حولية أوراق كلاسيكية، ٢٠٠٧.
- عبدالمعطي شعراوي، سينيكا ميديا- فيديرا- أجامنون: القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.
- فردريك كويلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان وروما)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام: القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢.
- ليلى محمد عبد المنعم أحمد، "الآلهة والأخلاق في أعمال سينيكا النثرية والشعرية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة اليونانية الرومانية، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، ١٩٨٨.
- مروة عبد الله عباس محمد، محاوره "عن العناية الإلهية De Providentia" لسينيكا دراسة في وسائل الربط النصيرسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة الأوروبية القديمة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٥.

ثالثاً المراجع الأجنبية:

- Beretta, Marco, et al, *Seneca e le scienze naturali*. Firenze: Leo S. Olschki, 2012.
- Fazzo, Silvia, *Alessandro di Afrodisia La Provvidenza Questioni Sulla Provvidenza*. Milano: BUR classici greci e latini, 1999.
- Grimal, Pierre, *Seneca*, Milano: Garzanti Libri s.p.a. 2001.

- Lefèvre, Eckard, "Il De Providentia di Seneca e il suo rapporto con il pensiero cristiano", *Sonderdrucke aus der Albert-Ludwigs-Universität Freiburg*, vol. 13. (2000): 55-71.
- Louise, Theron, "Progression of thought in Seneca's "De Providentia" C.vi", *Acta Classica*, vol.13, (1970): 61-72.
- Malaspina, Ermanno, *Seneca De providentia*. Novara, De Agostini Scuola SpA, 2012.
- Maltese, Enrico V, Platone Tutte le opere Repubblica-Timeo-Crizia. Roma: Grandi Tascabili Economici Newton.1997.
- Mortarino, Marzia, et al., *Seneca: Antologia modulare di autori latini*. Ed. by Marzia Mortarino, Mauro Reali and Gisella Turazza, Torino: loci scriptorum, 2011.
- Salmon, J.H.M, "Stoicism and Roman Example: Seneca and Tacitus in Jacobean England", *Journal of the History of Ideas*, Vol. 50, No. 2. (1989):199-225.
- Scaffidi Abbate, Mario, *Lucio Anneo Seneca Come vivere a lungo e la provvidenza*. Roma: Newton Compton editori s.r.l, 1993.
- Tabb, Brian Jordan, "Suffering in Ancient Worldview: A Comparative Study of Acts, Fourth Maccabees, and Seneca." PhD diss., Middlesex University London, 2013.
- Traina, Alfonso, *Seneca La Provvidenza*. Milano: BUR Classici greci e latini, 2014.